

الفرج بعد الشدة

[157] إلى أن ولى شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أو تامش في أيام المستعين واشتد جزع أبى محمد منه فسأله عن ذلك ؟ فقال: هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع هذا من أشد الناس حيلة وشدة، وهو يعرف كبر نفسي وصغر نفسه وقد بدأ بأبى جعفر بن اسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونكبه ونفاه إلى انطاكيا ولست آمن أن يجعلني في أثره. (قال): فما مضى إلا أسبوع حتى طهر أن أبا موسى عيسى بن فرخان شاه القناني الكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم إذ ذاك قد سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صارفا للحسن بن مخلد وخلع عليه فازداد جزع أبى محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب فأنا عنده في بعض العشيات إذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبي به فانتظرتة إلى أن عاد وهو مهموم مكروب. فقلت: ما خبرك ؟ قال قد فرغ شجاع من التدبير على وذاك أنه قد صح عندي بعد افتراقنا أن أو تامش قال البارحة لبعض خواصه قد ثقلنا على شجاع وحملناه مالا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ يعنى الحسن بن مخلد متعطلا لا بد من أن يفرج له شجاع إما عن كتابتي، وإما عن الوزارة لاقلده إحداهما. فلما بلغ ذلك شجاعا أنفذ إلى في الوقت. فلما رأيت الساعة قال لى يا أبا محمد: أنت شيخي ورئيسي وأنت اصطنعتني وأنا معترف لك بالحق وآخر مالك عندي من الانعام أنك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها إلى هذه المنزلة والامير يحذرك الحذر كله وقد أقام على أنه لا بد من نكبتك وإفقارك فلاجل ما أقمت من الامتناع عليه من هذا وسأله في أمرك فجرت خطوط تقررت على أن لا تجاوره وتشخص إلى بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكية وقد أمرنى بإخراجك من ساعتك. فما زلت حتى استنظهرته ثلاثة أيام أولها يومنا هذا فاعمل على هذا فإنك تمضى إلى بلد الأمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر وهو صديقك، ويخدمك الناس كلهم ولا تخدم أحدا، وتقرب من ضيعتك فأظهرت له الشكر وضمنت له الخروج، وأنا خائف منه أن يدعى حتى أخرج آلاتي
